

## خواطر جغرافية

للأستاذ محمد محمد علي



متزايدة في الحصول على منتجات الشرق ، إذ أن استيلاء الترك على مصر والقلاقل السياسية سببت ركودا في التجارة . فولى تجار أوروبا وجوههم شطر الاطلنطي اعلمه يؤدي إلى طريق مضمون لتجارة الشرق . وأول من فعل ذلك الاسبان والبرتغال ثم الإنجليز والفرنسيون والهولنديون . وعلى الرغم من الحروب فقد فاضت خزائن الأوربيين بالذهب والفضة . ثم كانت بذور النهضة الصناعية فترك الصناع اليدويون منازلهم إلى المصانع ، وبمد أن كانت الريح والمجاري المائية مصدرا للطاقة أصبح الفحم هو المصدر ثم الكمبرياء . وقد أدى الانقلاب الصناعي إلى التخصص والتركيز ، وأدت التغييرات التي صاحبته إلى زيادة السكان في العالم من ٥٠٠ مليون نسمة سنة ١٧٠٠ إلى أكثر من بليونين في الوقت الحاضر . ولا شك أن أساس الزيادة هو التقدم والارتقاء من جراء التبادل والاحتكاك .

\*\*\*

اكتشف الانسان الموارد الطبيعية واستطاع أن يستغلها ؛ ولم تنفرد فقط نواحي نشاطه بل إن البيئة الطبيعية اعترافا التغيير؛ فمثلا تستجيب الحياة النباتية والحيوانية لتذبذبات المناخ والاختلافات الجوية . ويمكن للانسان أن يتغلب على السموات الطبيعية ، فهو يحفف المبرك وبروى الصحارى ويخصب التربة الجردية ، بل ويستنبت النباتات في البيوت الزجاجية ويشق القنوات ويفتح الممرات ويغير في الهواء . ولئن كان هذا يكشف عن قدرة الانسان على تغلبه على البيئة فان من الضروري أن يكيف نفسه مع ظروفها . فالنطاق المدارية والتندرا لا تزال كما هي بالرغم من كل ما أمكن الانسان أن يفعل . إذ يستحيل استنبات الموز في مناطق التندرا ( الصحارى الجليدية ) أو رعى الرنة في النابة الاستوائية . وإذ يعتبر الاسكيمو نفسه سيد الحظ إذا حصل على غذاء كان وماوى دق ، فان ساكن المناطق المدارية يكافح ليحمي نفسه من الوحوش الضاربة والحشرات المؤذية والحرارة المرتفعة والرطوبة المظلمة .

إن قدرة الانسان على الاستفادة من الموارد الطبيعية في تغير ؛ ففي الأيام الخالية كانت المجاري المائية مورد الغذاء لكنها كانت تنوق حركات السكان ، ثم أصبحت نظرا هامة فصادر للرى

إن اعتماد الناس في ممارسة الحرف على ظروف كثيرة . ظاهرة ملحوظة ؛ ففي بعض الاقاليم نجد مجال اختيار الحرف محدودا وفي اقاليم أخرى نجد كبريا . وفي أغلب مناطق أمريكا الجنوبية حيث يسكن بقايا من الهنود لا يزالون صيادين ، وبخسيعون وقتهم في تحقيق رغبات بدائية ، وهم لا يستغلون كل موارد الثروة في بلادهم . وواضح أن الفرق عظيم بين هذه الحياة البدائية البسيطة والحياة الحديثة في نيويورك مثلا . وتتميز هذه الحياة بوجود ترابط بين مختلف الحرف ، وهذا الترابط ونمو رغبة الانسان المتزايدة وقدرته على استغلال الموارد الطبيعية .

كان الناس في الأزمنة الغابرة يعيشون في أراضيهم ، ويتبادلون مع جيرانهم بما يزيد عن حاجاتهم ، أي كان اعتمادهم على الأرض التي يقطنونها . فيمكن القول بوجه عام لمن النشاط التجاري ليس بجديد . فالحضارات القديمة مثل الحضارة المصرية والبابلية في العالم القديم ، وحضارة الأزت والمبا والانكا في العالم الجديد ، أقامت نظاما في التبادل محتامة . وبانتقال الحضارات من غرب آسيا إلى البحر المتوسط وشمال غرب أوروبا حدثت تغييرات ملحوظة في النظم الاقتصادية . واقد كان الفينيقيون والإغريق والفرطاجيون والرومان يتاجرون في المطور والأحجار الكريمة ومنتجات الغابات ، ووصلوا إلى الشواطئ الغربية والشمالية لبحر الأسود فضلا عن قيامهم بدور الوسيط بين تجارة الشرق والغرب . فلما كسدت التجارة القديمة في البحر المتوسط جاء الصليبيون في أوائل المصور الوسطى واشتملوا بالتجارة ، ثم قامت جنوة والبندقية وأصبح لها أهمية تجارية عظمى ، وكانت أاطيلهم تخرع عباب كل أجزاء البحر المتوسط . ومع أن سكان أوروبا قد عرفوا كثيرا من المنتجات التي كانت مجهولة لديهم من قبل ، فان التجارة لم تكن نشيطة إذا قورنت بما حدث في مصر الاستكشاف ، والانقلاب الصناعي . وفي أرائل القرن الخامس عشر واجهت مجموعات المدن التجارية صوبات